

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وأمرهم بالصيام ، وهو : الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل ، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة . وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم ، فلهم فيه أسوة ، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك ،

كما قال تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن

ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات) [المائدة : 48] ، ولهذا قال هاهنا : (يا أيها

الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) لأن

الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين : " يا معشر

الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء "

ثم بين مقدار الصوم ، وأنه ليس في كل يوم ، لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله

وأدائه ، بل في أيام معدودات . وقد كان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر

ثلاثة أيام ، ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان ، كما سيأتي بيانه . وقد روي أن الصيام كان
أولا كما كان عليه الأمم قبلنا ، من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ ، وابن مسعود ، وابن
عباس ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم . وزاد : لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح
إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان . وقال عباد بن منصور ، عن الحسن البصري : (
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما
معدودات) فقال : نعم ، والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت كما كتب
علينا شهرا كاملا وأياما معدودات : عددا معلوما . وروي عن السدي ، نحوه . وروى ابن
أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني عبد
الله بن الوليد ، عن أبي الربيع ، رجل من أهل المدينة ، عن عبد الله بن عمر قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم .. " في
حديث طويل اختصر منه ذلك . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن
حدثه عن ابن عمر ، قال أنزلت : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
[لعلكم تتقون]) كتب عليهم إذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم [الله] عليه الطعام

والشراب والنساء إلى مثلها. قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عباس ، وأبي العالية ،
وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان ، والربيع بن
أنس ، وعطاء الخراساني ، نحو ذلك .وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : (كما
كتب على الذين من قبلكم) يعني بذلك : أهل الكتاب . وروي عن الشعبي والسدي
وعطاء الخراساني ، مثله .